المحاضرة التّاسعة:

المنهج الوصفي "الإجراء".

الكفاءات المستهدفة :

-أن يتعرّف الطّالب على مفهوم المنهج الوصفي في دراسة اللّغة ،وأهمّ قضاياه التي يعالجها في هذه الدّراسة.

-أن يقف الطّالب على ايجابيّات وسلبيّات المنهج الوصفي في دراسة اللّغة

-أن يستنتج الطّالب الخطوات الإجرائيّة للمنهج الوصفي في دراسته للّغة

-أن يوظّف الطّالب هذا المنهج في بحوثه العلميّة .

تمهيد:

من المناهج المستخدمة في البحث اللغوي منهج يلجأ إليه الباحث عندما تتوفّر لديه معرفة مسبقة عن جوانب الظّاهرة اللّغويّة المراد دراستها ، ويريد من جانبه التّوصّل إلى معرفة دقيقة وتفصيليّة عن عناصر الظّاهرة إنّه المنهج الوصفي، فللمتتبّع للدّراسات اللّغويّة منذ نشأتها يلحظ أنها تعتمد بصفة كاملة على الوصف ،وقد وظّفه علماء اللّغة القدامى وهو عنصر أساس في أبحاثهم اللّغويّة ، ولكن مع مطلع القرن العشرين في أوربا أصبح منهجا مستقلّا له خصائصه ومقوّماته.

أولا – مفهوم المنهج الوصفي :

يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف اللّغة أو اللّهجة في مستوياتها المختلفة ، أي في نواحي أصواتها وألفاظها وأبنيتها وتراكيبها ودلالاتها،أو في بعض هذه النواحي ولا يتخطّى مرحلة الوصف[1]، فهو يعرض الواقع اللّغوي للغة ما في مكان محدّد وزمان محدّد، ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها، فالمنهج الوصفي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة أو محاكمة لها أو الفهم المنطقيّ في تفسير وتأويل الظّواهر اللّغويّة [2] .

وقد ظهرت إرهاصات هذا المنهج في فترة تاريخية مبكّرة تسبق الميلاد بقرنيين على الأقل وذلك من خلال وصف اللّغويّين الهنود للّغة السّنسكريتيّة ، فقد جاء وصفهم منطلقا من اللّغة ومنتهيا إلى نتائج لغويّة خالصة تصف بدقّة كلّ جوانب هذه اللّغة ، وقد استفادت الدّراسات اللّغويّة الحديثة من هذه الوجهة الوصفيّة، حيث ظهر ما يعرف بعلم اللّغة الوصفي كعلم يعطي أهميته لدراسة اللّغة كواقع فعليّ بعيدا عن كلّ العوامل الخارجية ، إذ تحدّدت ملامح هذا الاتّجاه بعد نشر كتاب دي سوسير " محاضرات في علم اللّغة" ثم تلته بعد ذلك مختلف الدّراسات الأوروبيّة والأمريكيّة [3].

ثانيا– أسس المنهج الوصفي :

ويمكن حصر أسس المنهج الوصفي فيما يلي[4]:

---

[1] ينظر: **المدخل إلى علم اللّغة**، رمضان عبد التواب، ص 182.

[2] ينظر: **العربيّة وعلم اللّغة الحديث**،محمد محمد داود، ص 95.

[3] ينظر:**أسس علم اللّغة العربية**،محمود فهمي حجازي ،ص 37.

[4] ينظر:**العربيّة وعلم اللّغة الحديث**،محمد محمد داود، ص 95–96 وينظر: **في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث**، صالح بلعيد ،ص59.

- يعمد أنصار هذا المنهج إلى دراسة اللّغة المنطوقة، لكونها أصدق في الوصف والوقوف على خصائصها وبخاصّة الصّوتية منها .كما لا يهملون اللّغة المكتوبة وإن كان اهتمامهم بالمنطوقة أوسع وأعمّ.
- تحديد فترة زمنيّة للظّاهرة المدروسة، ويفضل أن تكون قصيرة؛ لأنّ طول الفترة الزّمنيّة لا يخدم الدّراسة لتعرّض اللّغة إلى أشكال مختلفة من التّغيّر عبر الأزمان الطّويلة، ومن ذلك بحث القدماء في الألفاظ الإسلاميّة مثل:(مؤمن،فاسق، كافر، صلاة، حج...) ،والدّلالات التي اكتسبتها هذه الألفاظ في ظلّ الإسلام.
- تحديد بيئة معيّنة أو مكان محدّد لدراسة الظاهرة حتى لا تختلط اللّغات أو لهجات اللّغة الواحدة بعضها ببعض.
- تحديد مستوى لغويّ معيّن يدرسونه دون الخلط بينه وبين غيره من المستويات؛ حتى لا يؤدّي إلى نتائج غير دقيقة .
- وصف الظّواهر اللّغويّة كما هي موجودة بالفعل(في ذاتها و لأجل ذاتها) ، بغضّ النّظر عن الخطأ فيها والصّواب؛ لأنّهم يصفون ،ومن ثمّ فهم لا يقدّمون معايير تفرض على المتكلّمين.

ثالثا-خطوات المنهج الوصفي في دراسة اللغة:

يقوم المنهج الوصفي على أسس ثلاثة ، هي :الاستقراء والتّصنيف والتّقعيد، ولكلّ أساس شروطه تضبطه[1]:

1-الاستقراء :حيث يقيم دراسته على الوقوف على الكيفيّة التي تنفّذ بها اللّغة على ألسنة المتكلّمين، ويُشترط في ذلك:

- الاعتماد على معطيات لغويّة مستعملة فعلا.
- الاتّصال المباشر بالمتكلّمين والسّماع من أفواههم، وتدوين المسموع.
- الاعتماد في العمل الميداني على المتكلّم الأصلي ، وهو الرّاوي أو مساعد الباحث.
- أن يكون الرّاوي ممثّلاً صادقا للّغة أو اللّهجة المدروسة بأن يكون من نشؤوا في ظل هذه اللّغة قيد الدراسة؛ من الأفضل ألا يكون قد خرج من المنطقة التي تتكلّم به١، لأن كثرة الأسفار والتعرّض للاحتكاك باللهجات الأخرى يجعل المرء عرضة للتغيير

[1] ينظر: **في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث**، صالح بلعيد ، ص 58-59.

في نطقه.

- يحسن أن يكون الرّاوي أميّاً حتى لا يتأثر بالعوامل الثّقافية في تمثيله الصّحيح.

2-التّصنيف: وهو الأساس الثّاني الذي يلي عمليّة الاستقراء، ويقصد به تقسيم المادّة اللّغوية ، ويشترط في ذلك:

- الملاحظة الدّقيقة للمادّة اللّغوية المستقرأة.
- تحديد أوجه الاتّفاق والاختلاف بين جزئيّات هذه المادّة.
- جمع ما يتوافق منها في الشكل أو في الوظيفة وجعلها قسما بذاته، تم تسميته باسم معيّن.

3- التّقعيد : وهو وضع القواعد المناسبة لما لاحظه الواصف بعد الاستقراء والتّصنيف ويشترط فيه:

- أن لا تكون القاعدة بمثابة القانون المفروض على المتكلمين باللغة المدروسة.
- صياغة القاعدة بعبارة مختصرة قدر الإمكان.
- أن تتّصف القاعدة بالعموم، وليس من الضّروري أن تتّصف بالشّمول؛ فإذا ظهرت حالة تُخالف القاعدة عُدّت ظاهرة فرعيّة إلى جانب القاعدة، وقد تعضدها دون أن تطعن فيها.

رابعا:ايجابيّات وسلبيّات المنهج المقارن في دراسة اللّغة:

للمنهج الوصفي في دراسة اللّغة إيجابيات وسلبيات يمكن أن نصفها في الجدول التالي :

إيجابيّات المنهج الوصفي	سلبيّات المنهج الوصفي
- رصد الظواهر اللّغوية ووصفها وصفا كاملا بما يتناسب مع اللّغة المنطوقة حتى ولو كانت شاذّة في القاعدة. - الاستدراك على القدماء بما لم يذكروه من مواد معينة من خلال ما تصل إليه الدّراسة الوصفيّة من نتائج،وذلك بناء على دراسات كوصف لغة الشّعر والأرجاز فتظهر ألفاظ لم يذكرها المعجميّون في معاجمهم.	- اكتفاؤه بوصف الظّاهرة اللّغويّة كما هي،مما يؤدّي إلى إغفاله معرفة الصّحيح من غيره في الاستخدام اللّغوي. - عدم شموليّته؛لأنّه لا يستطيع حصر كلّ ظواهر اللّغة ، فهو يكتفي بوصف ما تجمع لديه من مادة وهي ناقصة في الأغلب. - يعزل اللّغة عن سياقاتها الخارجيّة ، وهذا يؤدّي في كثير من الأحيان إلى تفسيرها تفسيرا خاطئا.

– استبعاد الأحكام الجماليّة والتّقييميّة في اللّغة وإنّما تبحث من حيث كونها أصواتا ومفردات وتراكيبا ، فيدرسها دراسة مجرّدة بغضّ النّظر عن قيمتها أو مكانتها ، فيصل إلى قواعد و قوانين تتّسم بالكلية ،ومن ثم يمكن تطبيقها على أكثر من لغة.	– تحديد الفترة الزّمنيّة لدراسة ظاهرة لغويّة ما يؤدّي إلى إغفال بعض التّغيرات التي طرأت على هذه الظّواهر اللّغوية ، قبل وبعد الفترة المحددة. – تحديد المكان أيضا يؤدّي إلى عدم الوقوف على اللّغات أو اللهجات التي تشبه لغة المكان المحدّد ، ممّا يؤدّي إلى إغفال الأشياء المشتركة بينها وبين غيرها.

تقويم تحصيلي:

السّؤال: من خلال تعرّفك على المنهج الوصفي:

أ/ استنتج أهمّ قضايا المنهج الوصفي مع التّمثيل لها .

ب/ أوجد العلاقة التي تربط المنهج المقارن بالمنهج الوصفي.

الإجابة النموذجية :

أ/ قضايا المنهج الوصفي هي:

*الاهتمام بالمستويات اللّغويّة للغة معيّنة بهدف الوصول إلى استنباط قواعد كليّة شاملة. وكمثال عن ذلك وصف المستوى الصّوتي للّغة العربيّة بدءا بوصف أصواتها وقواعد تشكيلها ومخارجها وصفاتها ورائد هذا المجال الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجمه"العين" الذي اهتمّ فيه بالبحث في أصوات اللّغة العربيّة مخارجها،صفاتها وتشكيلها.

*الاعتماد الأكبر على المنطوق من اللّغة ،وهو ما يعرف في الدّراسات اللّغوية القديمة بالمسموع،حيث كان منهج المدرسة الكوفيّة أقرب إلى المنهج الوصفي باعتمادهم المسموع اعتمادا كليّا في استنباط القواعد النّحوية.

*الاتّصال المباشر بالواقع اللّغوي،ومن أمثلة ذلك تلقّي النّصوص من أفواه الرّواة ومشافهة الإعراب،والنّقل عنهم ممّا مهّد إلى استقراء اللّغة واستنباط القواعد لهذا الاستقراء ، وقد قامت مدرسة البصرة بتحديد القبائل التي عنهم أخذت مادّتها اللغوية.

ب/ يعتمد المنهج المقارن بصورة مباشرة على المنهج الوصفي ، فأيّة دراسة مقارنة لابدّ أن تسبق بوصف لغويّ لكلّ لغة على حده ، وبمقتضى هذا الوصف يتبيّن للباحث أن يجري مقارناته ، وأن يستخلص نتائجه.